الأخطَل ومَصْقَلة بن هُبَيْرة

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

مدح الاخطل مَصْقَلة بن هُبَيْرة الشيباني في قصيدةٍ (١ مطلعُها :

هل تعرفُ اليومَ من ماويَّةَ الطَّلَلا تحمَّلتْ إنهُ منهُ وما احتَملا .

وهذه القصيدة هي من فاخر شعر الاخطل . ومصقلة هذا من كبار الرجال واشهرهم كرماً وبأساً وكان عاملاً لعليّ على أَرْدَشِير خُرَه . وفي رأينا انهُ كان نصرانيًّا . فلما ارسل عليّ جيشاً الى بني ناجية تحت إمرة قيس بن مَعْقِل فقتل المقاتلة وسبى الذَّراري مرّ بهم على مصقلة فاستفاث بهِ النصارى فاشتراهم واعتقهم . فشكرهُ الاخطل واثنى على كرمهِ . هذا ما نرغب ان نوضحهُ بعد ان نبيّن علوّ كعب الاخطل في الشعر

الاخطل التغلبيّ ويكنى ابا مالك من شعراء الدولة الأُموية كان نصرانيًّا من اهل الحيرة متمسكاً بدينهِ . وكان يُقال لهُ ذو الصليب لانهُ كان يعلّق صليباً على صدرهِ . وكفى دليلاً على نصرانيّته انَّ اعداءه كانوا ينبذونهُ بابن النصرانيَّة وانهُ يذكر في شعرهِ الصليب كراية قومهِ في الحرب بين تغلب وقيس ومعاوية كشعيع لهم وشعارهم في القتال . قال (٢ :

لمَّا رأونا والصليبَ طالعا ومارَ سَرجيسَ وسمًّا ناقعا

وابصروا راياتنا لوامعا كالطير اذ تستوردُ الشرائعا

ولمَّا عرض عليهِ عبد الملك الاسلام اجابهُ الاخطل مفتخرًا بثباتهِ على دينهِ في ابيات تجدها في الديوان ختمها بهذا الشطر (٣ :

وأسجدُ عند مُنبلج الصباحِ

يعني انهُ يعبد الله ويسجد لعزته وقت ذبيحة القدّاس

---

١) تجد هذه القصيدة مع شروح ضافية توضح ما غمض من المعاني في (الصفحة ١٢٨—١٤٥) من ديوان الاخطل الذي عُنينا بنشره وطُبع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة

٢) الديوان (ص ٢٠٩) ٣) الديوان (ص ١٥٤)

وكان الاخطل يقيم تارةً في دمشق دار الخلافة الاموية وحيناً في الجزيرة لانها منازل تغلب عند قومهِ بني مالك بن جُشَم. ومن ثمَّ تحلّى بصفات وكمالات البدو والحضر فاكتسب من عيشة البدو علم الأنواء والنجوم والسحاب والمطر واسرار الطبيعة ومعرفة النبات والاشجار وطبائع الحيوان فيذكر ذلك في شعرهِ ويصفهُ احسن وصف. وشعرهُ اشبه شيء بشعر الجاهليين في المتانة والجودة والخارٌ من السَّقَط. واقتبس من الحضَر ومعاشرة الامراء والملوك آداب الكرام وسموّ الافكار وشرف المعاني ورقة العواطف

ولم يلبث الاخطل ان نبغ في الشعر وطار لهُ الصيت الشهير حتى اتَّصل بالخلفاء فأجادوا معاملتهُ خصوصاً يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك. فكان يدخل على الملوك في مجالسهم بدون اذن ويحظى عندهم حتى ان عبد الملك لفرط ما أُعجب بهِ امر مولًى لهُ ان يخرج بهِ على الناس وينادي: هذا شاعر امير المؤمنين هذا شاعر بني امية هذا اشعر العرب. ومن ثمَّ لم يخشَ ان يكلّم الملوك بجرأة وسطوة فقال يوماً لعبد الملك (١

وَنَعوزُ اناساً عزَّةً يكرهونها ونحيَ كراماً او نموت فنُقتَلُ
وان تحسارا عنهم فما من حمالةٍ وان تُقلت الّا دمُ القوم اثقلُ
وان تعرضوا فينا لنا الحقَّ لم نكن عن الحقّ عمياناً بل الحقَّ نسألُ
وقد نتزل الثغرَ المخوف ويُتَّقى بنا البأسُ واليوم الاغرُّ المحجَّلُ

فايّ شاعر غير الاخطل امكنهُ ان يتهدَّد هكذا عبد الملك او ان يمنّ عليهِ بقولهِ (٢:

بني أُميَّةَ اني ناصح لكمُ فلا يبيتنَّ فيكم آمناً زفرُ
وقد نُصرتَ اميرَ المؤمنين بنا لمّا اتاك ببطن الغوطةِ الخبرُ

ومحلّ الاخطل في الشعر اكبر من ان يحتاج الى وصف. فتارة يتدفق كلامه ويجري كنهرٍ حافل بالمياه كما وصف هو الفرات اذ قال (٣:

وما يُزبدُ الأطوادِ من دون عانةٍ يشقُّ جبال القوز ذو حَدَبٍ غَمرِ

---

١) الديوان (ص ١١) ٢) الديوان (ص ١٠٥) ٣) الديوان (ص ٢١٤)

متى يَطَّرد يَسق السَّوادَ فضولُهُ وفي كل مُستَنٍ جداولُ تجري

واخرى يدوي دويّ الرعد القاصف وينقضّ كالصواعق . وطوراً يضيء ويلمع كالبرق في الدجى . وحيناً يتزين بالبهجة كروضة خضراء ازهر نَوْرُها (١) :

نفت الصبا عنها الجهامَ واشرقت للشمس غبَّ دجنّة وطلالِ
بيج الربيع لها فجاد نباتها وغتْ بأسحَمَ وابلٍ هطّالِ

فيجيد النسيب والزُّهد والوصف والمديح والفخر والهجاء في عفاف . فقد اجاد في النسيب اذ قال (٢) :

رأيتُ لها وجهاً اغرَّ فراعني وطَرْفاً غضيضاً مثلهُ اورثَ الخَبلا
وخدّاً أسيلاً غيرَ زَغْبٍ مَقـذُّهُ بسُذْصِقٍ في الجيد قد فُتلتْ فَتْلا
فتلك التي لم تُخطِ قلبي بسهمها وما وترَتْ قوساً ولا رصفت نَبْلا
غداةَ بدتْ غرّاء غير قصيرةٍ تُذرّي على اكتنينِ ذا عُذَرٍ جَثْلا

وتزهّد فأحسن (٣) :

اعاذلَ انَّ النفس في كفّ مالكٍ اذا ما دعا يوماً اجابت له الرُّسلا
ذريني فلا مالي يردُّ منيَّتي وما ابنُ أرى حيّاً على نفسه قُفلا
وليس بخيلُ النفس بالمال خالداً ولا من جوادٍ فاعلمي ميّتٍ هزلا
ألا ربَّ من يخشى نوائبَ قومهِ وريبُ المنايا سابقات بهِ الفعلا
ويا ربَّ غادٍ وهو يُرجى إيابهُ وسوف يلاقي دون أوْبتهِ شغلا

ووصف فصوّر للمناظر الثور الوحشي في ليلة ماطرة ثم الصياد يُشلي كلابه عليه عند مطلع الشمس قال (٤) :

فما بهِ غير مَوْشيٍّ اكارعهُ اذا احسَّ بشخصٍ نابئٍ مثلا
يرعى بخَيْنَفَ احياناً وتُضمرهُ ارضٌ خلاء وماء سائلٌ غلَلا
شهريْ جُمادى فلمّا كان في رَجَبٍ أنَتِ الارضُ مما حُبِلَت حَبَلا
كأنَّ عطّارةً باتت تُطيف بهِ حتى تسرولَ ماء الوَرْس وانتعلا

---

١) الديوان (٢٢٢) ٢) الديوان (١٧٨)
٣) الديوان (١٧٧) ٤) الديوان في القصيدة التي مدح بها معقلة (١٣٨-١٤١)

من خضب نَوْر خُزامى قد اطاع لهُ ... اصاب بالقفر من وسميهِ خضلا
حتى اذا الليل كفَّ الطرف ألبسهُ ... غيثٌ اذا ما مَرَتْهُ ريحهُ سَحَلا
داني الرِّباب اذ ارتجَّت حواملهُ ... بالماء سدَّ فُروجَ الارض واحتفلا
فبات مُكتلئاً للبَرْقِ يَرقُبهُ ... كليلةِ الوَصبِ ما أغفى وما عَقَلا
فبات في حِقْف أرطاةٍ يلوذ بها ... اذا احسَّ بسيلٍ تحتهُ انتقلا
كأنهُ ساجدٌ من نَضْخ ديمتهِ ... مُسبِّحٌ قام نصف الليل فابتهلا
يَنفي التراب بروقيهِ وكلكلهِ ... كما استمرَّ رئيس المِقنب النَّفَلا
كأنما القطرُ مرجانٌ يساقطهُ ... اذا علا الرَّوقَ والمتنَيْن والكفَلا
حتى اذا الشمس وافتهُ بمطلعها ... صَحَّهُ ضامرٌ غرثانُ قد نَحَلا
طاوٍ ازلُّ كسرحانِ الفلاة اذا ... لم تُؤنِس الوحشُ منهُ نَبأةً خَتَلا
يُشلي سَلوقيةً عُضفاً اذا اندفعت ... خافت جديلةَ في الآثار او ثُعَلا
مُكلِّبينَ اذا اصطادوا كانهمُ ... يسقونها بدماء الأُبدِ المَثلا
فانصاعَ كالكوكب الدُّرِّيِّ جرَّدهُ ... غيثٌ تقشَّعَ عنهُ طال ما هطلا
حتى اذا قلت ناتهُ سوابقها ... كرَّ عليها وقد امهلنهُ مَهَلا
فظلَّ يطعنها شزراً بمَرْوتهِ ... اذا اصابَ بروقٍ ضارياً قتلا
كأنَّهنَّ وقد سُربلنَ من عَلَقٍ ... يَغشَيْنَ موقدَ نار تقذفُ الشُّعَلا
اذا اتاهنَّ مكلومٌ عَكفنَ بهِ ... عكفَ الفوارسِ هابوا الدارعَ البَطلا
حتى تناهينَ عنهُ سامياً حَرِجاً ... وما هَدَى هَدْيَ مهزومٍ وما نكلا

ومدح فرقع . مثال ذلك مديح همام بن مُطرِّف التغلبي (١ :

وكرَّارٍ خلفَ المُرْهَفين جوادهِ ... حفاظاً اذا لم يحمِ أُنثى حليلُها
ثنى مُهرَهُ والخيلُ رَهْوٌ كأنها ... قِداحٌ على كفَّي مُفيضٍ يُجيلُها
يُهينُ وراءَ الحيِّ نفساً كريمةً ... لِكتبةِ موتٍ ليس يُودى قتيلها
ويعلمُ انَّ المرءَ ليس بخالدٍ ... وانَّ منايا الناس يسعى دليلها
فان عاش همَّامٌ لنا فهو رحمة ... من الله لم تُنفَس علينا فُضولها

١) الديوان (٢٤٥ و٢٤٦) راجع ايضاً (١٠١ — ١٠٥)

وان مات لم تستبدل الارضُ مثلَهُ لأَخذِ نصيبٍ او لامرٍ يَعولها

وافتخر فكرُم وتسامى اذ قال (١ :

واني لِمن علياء تغلب وائلٍ لَأَطولُها بيتاً وأثبتُها أصلا

انا الجُشَميُّ الرحبُ في الحيِّ منزلاً اذا احتلَّ مَضهودٌ بضنيةِ هَزْلا

وقد علمت أبناء تغلبَ انني نُضارٌ ولم أنبتْ بقَرْقرةٍ أثلا

وأنيَ يوماً لا مُضيعٌ ذِمارها ولا مُفلتي هاجٍ هجا تَغلبياً بُطلا

وهجا قاضٍ ووضع من ذلك قولهُ في مقتل عمير بن الحباب (٢

أمعشرَ قيسٍ لم يُمتِّع اخوكمُ عُميرٌ بأكفانٍ ولا بطَهورِ

تدلُّ عليهِ الضبعَ ريحٌ تضوَّعت بلا نفحِ كافورٍ ولا بعَبيرِ

وقال ايضاً فيهِ (٣ :

يعرّفونك رأسَ ابن الحُباب وقد أضحى وللسيفِ في خيشومهِ أثرُ

لا يسمعُ الصوتَ مُستكّاً مسامعهُ وليس ينطق حتى ينطق الحجرُ

أمستِ الى جانب الحشّاك جيفتهُ وراسهُ دونهُ اليحسومُ والصُّرَرُ

فلا عجب اذاً إن اجمع كثير من الادباء على ايثار شعر الاخطل وتفضيلهِ على جرير والفرزدق. فقد جعل العلماء هؤلاء الشعراء الثلاثة طبقة واحدة واوّل طبقات الاسلام. ولكلّ واحد منهم طائفة تفضّلهُ. اخبر ابو عبيدة قال: جاء رجل الى يونس فقال لهُ: من اشعر الثلاثة. قال: الاخطل. قلنا: مَن الثلاثة. قال: اي ثلاثة ذكروا فهو اشعرهم. وكان ابو عبيدة يقول: شعراء الاسلام الاخطل ثم جرير ثم الفرزدق والاخطل اشبه بالجاهليّة واشدّهم أسرَ شعرٍ واقلّهم سقطاً! وقال مَسلمة بن عبد الملك: انا اعلم العرب بثلاثة يعني الاخطل والفرزدق وجريرًا اما احدهم فيجيء سابقاً ابداً يعني الاخطل واما الآخر فيجيء مُصلّياً يعني الفرزدق واما الآخر فيجيء سابقاً مرّة وسُكَيتاً (٤ مرة وهو جرير. وكان ابو عمرو بن العلاء يقول: لو ادرك الاخطلَ يوماً

١) الديوان (١٧٨) ٢) الديوان (٢٥) راجع ايضاً (١٢٠-١٢١)

٣) الديوان (١٠٦)

٤) السكيت ما يجيء في آخر الحلبة آخر الخيل ويقال للثاني المُصلّي لانهُ يكون عند صلا الاوّل

واحدًا من الجاهليَّة ما فضَّلت عليهِ احدًا. وسئل حماد الراوية عن الاخطل فقال : ما تسألوني عن رجل حبَّب شعرهُ اليَّ النصرانيَّة. وسئل ايضاً عن الشعراء فقال : اشعر العرب شيخا وائل الاعشى في الجاهليَّة وهو صنَّاجة العرب والاخطل في الاسلام

ولمَّا ان قضى الاخطل للفرزدق على جرير اضطرمت بينهما نار العداوة واستطارا في الهجاء. على ان جريرًا كان يعرف للاخطل حقَّهُ ويقدِّرهُ قدرهُ. سأل عكرمة بن جرير اباه عن الاخطل فاجابهُ : يجيد مدح الملوك ويصيب نعت الخمر. وذكر ابو عمرو ان جريرًا سُئل اي الثلاثة اشعر فقال: اما الفرزدق فتكلَّف مني ما لا يطيق واما الاخطل فاشدُّنا اجتراء وارمانا للقرائص. واخبر نوح بن جرير قال: بينا انا آكل مع ابي يومًا وفي فيه لقمة وفي يدهِ اخرى فقلت: يا ابتِ انت اشعر ام الاخطل. فجرض باللقمة التي في فيهِ ورمى بالتي في يدهِ وقال: يا بنيَّ لقد سررتني وسؤتني فاما سرورك اياي فلتعهدك لي مثل هذا وسؤالك عنهُ واما ما سؤتني بهِ فلذكرك رجلًا قد مات يا بنيَّ ادركتُ الاخطل ولهُ ناب واحد ولو ادركتهُ ولهُ ناب آخر لأكلني بهِ ولكني اعانتني عليهِ خصلتان كبر سنّ وخبث دين وما رأيتهُ قطّ الَّا خشيت ان يبتلعني

وكان الفرزدق ايضاً يعرف قدر الاخطل ويقدِّمهُ في المديح خاصة. يروى ان الفرزدق دخل الكوفة فلقيهُ ضوء بن جُلاح فقال لهُ : مَن امدحُ اهل الاسلام. فقال لهُ : وما تريد الى ذلك قال تمارينا فيه قال : الاخطل امدح العرب. وقال عبد الملك للفرزدق : من اشعر الناس في الاسلام قال كفاك بابن النصرانيَّة اذا مدح

ولا تنحصر مزيَّة شعر الاخطل في جودة الشعر والفرائد اللغوية والادبيَّة التي تُجنى منهُ . انَّهُ لجزيل الفائدة ايضاً لمعرفة التاريخ اذ يشير الى ايام العرب واخبار القبائل والى وقائع وحوادث عديدة تمَّت في دولة الامويين. فكأنَّهُ تاريخ لدولة بني اميَّة. هذا فضلًا عمَّا يفيد لمعرفة البلدان لانَّهُ ورد فيهِ ذكر مئات من اعلام الامكنة لاسيما من انحاء قبائل العرب. وفي هذا القدر كفاية لمعرفة قدر الاخطل واهميَّة شعرهِ

وها نحن نثبت جزءًا من القصيدة التي مدح بها الاخطل مَصْقَلة بن هُبيرة البكريّ الشيبانيّ . ولسنا نقصد بذلك ان نبين للقرَّاء افخر ما اتى بهِ الاخطل لانَّا نجد في ديوانهِ قصائد تفضل هذه كالقصيدة التي مدح بها عبد الملك « خفَّ القطين

فراجعوا منك او بكروا » (الصفحة ٩٨ — ١١٢ من الديوان) فانها من فاخر شعر الاخطل ومقدّمه . والقصيدة « تغيّر الرسم من سلمى بأحفار » (الصفحة ١١٢—١٢٠ من الديوان) فانها ممدودة من المجمهرات وهي مثبتة في جمهرة اشعار العرب . فقصدُنا اذًا هو ان نعرّف السبب الذي من اجلهِ مدح الاخطل مصقلة بن هُبيرة ومن ثمّ يمكننا ان نعيّن الزمان الذي عاش فيهِ الاخطل ومدة حياتهِ بالتقريب

فالابيات التي نظمها الاخطل في مديح مصقلة هي هذه :

دعِ المُغيَّرَ لا تسأل بمَعرفهِ ... واسأل بمصقلةَ البكريِّ ما فعلا
بتلفٍ ومُفيدٍ لا يمُنُّ ولا ... تُهلِكهُ النفسُ فيما فاتهُ عَذَلا
جَزْلُ العطاء واقرامٌ اذا نُزلوا ... يُعطون نَزْرًا كما تستوكفُ الوَشَلا
وفارسٍ غيرِ وقّافٍ برايتهِ ... يومَ النكيهة حتى يُعمل الأسلا
ضَخمٍ تُعلَّق أشناقُ الدّيات بهِ ... اذا المئونَ أُمِرَّتْ فوقهُ حَملا
ولو تكلّفها رِخْوٌ مَفاصلهُ ... او ضيّقُ الباعِ عن أمثالها سعلا
وقد فككتَ عن الاسرى وثاقهمُ ... وليس يرجونَ تلجاءً ولا دَحلا
وقد تنفّذتَهم من قعر مُظلمةٍ ... اذا الجبانُ رأى امثالها زَحلا
فهم فِداؤك اذ يكون كلهمُ ... ولا يَرَونَ لهم جاهًا ولا نفلا
ما في مَعدٍّ فتًى يُغني رِباعتهُ ... اذا يهُمُّ بامرٍ صالحٍ عملا
الواهبُ المائةَ الجُرجورَ سائقها ... تَزو يرابيع متنَيهِ اذا انتقلا
انَّ رَبيعةَ لن تَنفكَّ صالحةً ... ما أخّر الله عن حوبانك الأجلا
أغرَّ لا يحسب الدنيا تخلّدهُ ... ولا يقول لشيءٍ فاتَ ما فعلا

امّا السبب الذي حدا بالاخطل الى ان يمدح مصقلة فاننا نجدهُ في تاريخ ابي جعفر محمد بن جرير الطبري . قال (في الصفحة ٣٤٣٤ و ٣٤٣٥ من الجزء الاوّل) ما نصُّهُ :

« حدّثني ابو الطفيل قال : كنت في الجيش الذي بعثهم عليّ بن ابي طالب الى بني ناجية فقال : فاتيناهم فوجدناهم على ثلث فِرَق فقال امرنا لفرقة منهم : ما انتم . قالوا : نحن قوم نصارى لم نرَ دينًا افضل من ديننا فثبتنا عليهِ . فقال لهم : اعتزلوا . وقال للفرقة الاخرى : ما انتم . قالوا : نحن كنّا نصارى فأسلمنا فثبتنا على اسلامنا . فقال : لهم اعتزلوا . ثم قال للفرقة الاخرى الثالثة : ما انتم . قالوا : نحن قوم كنّا نصارى فاسلمنا فلم نرَ دينًا افضل من ديننا الاول . فقال

لهم: أسلموا. فابوا. فقال لاصحابه: اذا سمعتُ راعي ثلاثاً فشدّوا عليهم فاقتلوا المقاتلة واسبوا الذرّية. فجيء بالذرّية الى عليّ فجاء مصقلة بن هُبيرة فاشتراهم بمائتي الف فجاء بمائة الف فلم يقبلها عليّ فانطلق بالدراهم وعمد اليهم مصقلة فاعتقهم ولحق بمعاوية. فقيل لعليّ: ألا تأخذ الذرّية. قال: لا فلم يعرض لهم»

وقال (في الصفحة ٣٤٣٨-٣٤٤٢):

« وبعث مصقل بن قيس الجبل الى رحالهم فسبى من ادرك منهم فسبى رجالاً كثيراً ونساء وصبياناً ثم نظر فيهم فاما من كان مسلماً فخلّاه واخذ بيته وترك لهُ عياله واما من كان ارتدّ فعرض عليهم الاسلام فرجعوا وخلّى سبيلهم وسبيل عيالهم الّا شيخاً منهم نصرانياً يقال لهُ الرُّماحس بن منصور قال: والله ما زلّت منذ عقلتُ الّا في خروجي من ديني دينَ الصدق الى دينكم . . . لا والله لا ادع ديني ولا اقرب دينكم ما حييت. فقدّمهُ فضرب عنقهُ

« وجمع مصقل الناس فقال: اذكروا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة: فاخذ من المسلمين عقالين وعمد الى النصارى وعيالهم فاحتسابهم مثيلاً جمع واقبل المسلمون معهم يشيّعونهم فامر مصقل بردّهم فلمّا انصرفوا تصافحوا فبكوا وبكى الرجال والنساء بعضهم الى بعض . . . وكتب مصقل بن قيس الى عليّ: . . . واما من ارتدّ فانا عرضنا عليهِ الرجوع الى الاسلام والّا فقتلناه واما النصارى فانا سبيناهم وقد اقبلنا بهم ليكونوا نكالاً لمن بعدهم من اهل الذمة لكيلا يخلعوا الجزية ولكيلا يجترئوا على قتال اهل القبلة . . .

« ثم اقبل بهم حتى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامل عليّ على أردَشير خُرّه وهم خمسمائة انسان فبكى النساء والصبيان وصاح الرجال: يا ابا الفضل يا حامي الرجال وفكّاك العناة امننّا علينا فاشترانا واعتقنا. فقال مصقلة: اقسم بالله لأتصدقنّ عليهم . . .

« ثم ان مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذُّهلي الى مَسْقِل بن قيس فقال لهُ: بعني بني ناجية. فقال: نعم ابيعكهم بألف ألف ودفعهم اليهِ وقال لهُ: عجّل بالمال الى امير المؤمنين. فقال: انا باعث الآن بصدرٍ ثم ابعثُ بصدر آخر كذلك حتى لا يبقى منهُ شيء ان شاء الله تعالى . . . ثم اقبل حتى نزل البصرة فمكث بها اياماً ثم ان ابن عبّاس سألهُ المال وكان عمّال البصرة يحملون من كُوَر البصرة الى ابن عبّاس ويكون ابن عباس هو الذي يبعث بهِ الى عليّ. فقال لهُ: نعم انظرني اياماً. ثم سألهُ المال فادّى اليهِ مائتي الف. ثم انهُ عجز فلم يقدر عليهِ . . .

« وحدّث ذهل بن الحارث قال: دعاني مصقلة الى رحلهِ فقدّم عَشاءهُ فطعمنا منهُ ثم قال: والله ان امير المؤمنين يسألني هذا المال ولا اقدر عليهِ فقلت: والله لو شئتَ ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميع المال. فقال: والله ما كنتُ لاحملها قومي ولا اطلب فيها الى احد . . . فلا والله ما مكث الّا ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية . . .

« وكان اخوه نُعَيم بن هُبَيرة شيعياً ولعليّ مناصحاً فكتب اليهِ مصقلة من الشام مع رجل من النصارى من بني تغلب يقال لهُ حُلوان: اما بعدُ فاني كلّمتُ معاوية فيك فوعدك الامارة ومنّاك الكرامة فاقبل اليّ ساعة يلقاك رسولي ان شاء الله والسلام. فاخذهُ مالك بن كعب الارحبي وسرح بهِ الى عليّ فاخذ كتابه فقرأه فقطع يد النصراني فمات . . . ولم يلبث التنوخيون الّا قليلاً

حتى بلغهم هلاك صاحبهم فاتوا معقلة فقالوا انك بعثت صاحبنا فاهلكته فاما ان تحييهُ واما ان تديَهُ. فقال: اما ان احيهُ فلا استطيع ولكني سأديه. فوداه»

هذا ما جاء في تاريخ الطبريّ اوردنا منهُ ما يبيّن ان الاخطل انما مدح معقلة بن هبيرة لانهُ افتدى اساري النصارى

ومما اوردناه يظهر ان معقلة كان نصرانياً. هو رأينا ولا محققهُ. فان ظروف الخبر كلها تشير الى ذلك. منها التجاء النصارى الى معقلة واستغاثتهم بهِ وكفالهُ بفدائهم وحنانهُ عليهم وتحمّلهُ حمالات باهظة رغبةً في فكّ اسرهم. ومنها تركهُ علياً ومجيئهُ الى معاوية الذي كان اوفر حلماً للنصارى ولدينهم فكان يأتمنهم ويستخدمهم. ومنها بعث معقلة الى اخيهِ نُعَيم رسولاً نصرانياً من بني تغلب. ومنها إلحاح التغلبيين على معقلة في فداء الرسول التغلبيّ الذي بعث بهِ الى اخيهِ فقطعت يداه ومات. فانَّ مثل هذا الالحاح لا يصدر الّا من اناس لهم دالّة على رجل من دينهم خصوصاً بعد ما ابدى معقلة من الكرم نحو النصارى في فكّ اساراهم. ولا مانع من ان اخا معقلة نعيم بن هبيرة كان شيعياً مناصحاً لعليّ فانَّ لفظة الشيعيّ في هذه العبارة تعني تشيّعهُ لحزب عليّ ومخالفتهُ لحزب معاوية. وهذا هو معنى الكلمة الاصلي. وعلى افتراض ان نعيماً كان مسلماً فهذا ليس بسبب ليكون اخوه معقلة متابعاً لهُ في الدين. يؤيد قولنا هذا ما كان من الفرق في الدين بين بني ناجية

ويحسن بنا الآن ان نخطو خطوة اخرى لنعرف متى عاش الاخطل اي متى كان مولده ومتى كانت وفاتهُ فنعلم من ثم مدّة حياتهِ. فنقول ان بَعْث معقل بن قيس الى بني ناجية كان حسب تاريخ الطبريّ في السنة ٣٨ للهجرة ونقدّر عمر الاخطل اذ ذاك ثلاثين سنة على الاقلّ لاننا لا نظنّ ان الاخطل نظم قبل هذا العمر قصيدة يعدّها العلماء والادباء من فاخر شعرهِ ومن عيون القصائد. ولا يمكن الافتراض ان الاخطل ابطأ وتأخر عن مدح رجل اظهر من المروءة والكرم نحو النصارى ما لا غاية بعدهُ. فيكون اذاً مولد الاخطل سنة ٨ للهجرة. وكان بدء هذه السنة يوم الاثنين اوّل ايار من السنة المسيحيّة ٦٢٩. ولكي نعرف زمان وفاتهِ يكفينا ان نعرف انهُ مدح الوليد بن عبد الملك بخمس قصائد (١ فان لم تكن جميعها قلا

---

١) راجع ديوان الاخطل الصفحات (١٨٣ و٢٠٣ و٢١٦ و٢٣٣ و٢٦٤)

ريب في ان ثلاثاً منها نظمت في مديح الوليد اذ كان خليفة. قال (١):

ان الوليد امين الله انقذني وكان حصناً الى منجاته هربي
خليفة الله يُستسقى بسنَّته الغيث من عند مُولي العلم مُنتخبِ

ويخبرنا التاريخ ان الوليد فتح في خلافته فتوحاً عظاماً منها الاندلس وكاشغر والهند وغزا الروم غزوات عديدة. فالى ذلك يشير الاخطل اذ قال (٢):

بها ترمي اعادِيها قُريش اذا ما نابها امرٌ كبيرُ
لهُ يومان يوم قِراع كبش ويوم يستظلّ بتبٍ معلّرُ
قتلتَ الروم حتى شذّ منها عصائب ما تحرّزها القصورُ

وقال ايضاً (٣):

وما بلغتْ خيلُ امرئٍ كان قبلهُ بحيث انتهت آثاره ومحاربُهْ
وتُضحي جبالُ الروم غُبْرًا بفجاجها بما اشملت غاراتهُ ومقانبهْ

ومعلوم ان الوليد بن عبد الملك بويع سنة ٨٦ هجرية وتوفي سنة ٩٦ هـ. وكان بدؤها يوم الاحد ١٦ ايلول من السنة الميلاديَّة ٧١٤ فاذا قلنا ان الاخطل عاش الى السنة الخامسة على الاقلّ من خلافة الوليد كنّا غير بعيدين عن الحقّ واذا عيّنا لوفاته السنة المسيحيَّة ٧١٠ كما ذكرنا في ترجمة حياته في الديوان كنا قريبين من الصواب وذلك لسببين الاوّل انهُ كان للشعراء في كل سنة موسم يقصدون فيهِ الخلفاء بالمديح. قال الفرزدق:

ستاتيك مني كلَّ عام قصيدة محبَّرة توفيكها كلَّ مَوسمِ

وقد سبق لنا القول ان الاخطل حبَّر خمس قصائد في مدح الوليد. والسبب الثاني هو انهُ لا يُصدَّق ان الاخطل نظم في السنة الاخيرة او السنتين الاخيرتين من عمرهِ القصائد الفخيمة الرنَّانة التي يُقصد بها الملوك. ومن ثم نستنتج ان الاخطل عمّر نحوًا من ٨١ سنة. يؤيد قولنا هذا ما كتبهُ الرواة من ان الاخطل «عمّر عمرًا طويلًا» حتى قيل عنهُ انهُ «شيخ قد تحطَّم» وانهُ «دخل بين جرير والفرزدق في آخر امرهما وقد أسنَّ وتفد اكثر عمرهِ» ووصف بأنهُ «رجل ابيض الرأس واللحية»

١) الديوان ١٨٥ ٢) الديوان ٢٠٤ ٣) الديوان ٢١٦

الّا انّ شوكته في الشعر لم تنكسر بل بقيت حادّة نافذة يؤيد ذلك القصائد الدريّة التي نظم جواهرها وقد ناهز الثانين من عمره

كتاب
طبقات الامم

للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي

سمى بنشره وتعليق حواشيه الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم عند العرب (تابع)

واماً المشهورون باحكام بعض اجزاء الفلسفة فكثير. فمنهم اشتهر منهم عندنا بعلم حركات النجوم وهيئة العالم سوى من تقدّم ذكرهُ احمد بن عبدالله البغدادي المعروف بحبش (١ وكان في زمان المأمون والمعتصم ولهُ ثلثة ازياج اوّلها المؤلف على مذهب السند هند خالف فيهِ الفزاري والخوارزمي في عامّة الاعمال واستعمالهِ لحركة إقبال فلك البروج وادبارهِ على رأي تاون (٢ الاسكندراني ليصلح (٣ لهُ بهما مواضع الكواكب في الطول . وكان تأليفهُ لهذا الزيج [اول مرّة في أيّام (٤ كان حساب السند هند. والثاني المعروف بالممتحن وهو اشهر ما لهُ ألّفهُ بعد ان رجع الى معاناة الرصد وضمّنهُ حركات الكواكب على ما يوجبهُ الامتحان في زمانهِ. والثالث الزيج الصغير المعروف بالشاه ولهُ كتاب حسن في العمل بالاسطرلاب (٥

ومنهم احمد بن محمد بن كثير الفرغاني (٦ احد منجمي المأمون وصاحب

---

١) في الاصل: بحنش وهو غلط. وقول المؤلف عنهُ منقول في كتاب الحكماء لابن القفطي (ص ١٧٠) راجع كتاب الفهرست (ص ٢٧٥) ٢) حك: ثاون

٣) حك: ليصح ٤) حك: في اوّل امره ايّام

٥) وزاد حك: وبلغ من عمره نحو مائة سنة ٦) نقلهُ حك (في الصفحة ٧٨) - راجع ايضاً الفهرست (ص ٢٧٩) وقد سمّاهُ محمّد ابن كثير